مقاربة

عُثر فيها على حياة منذ القرن السادس قبل الميلاد

الصبية... مزيج من الحضارات في قطعة أرض!

لافي الشمري

عثرت البعثات المحليّة والدوليّة في منطقة الصبية على مكتشفات أثرية هائلة، أبرزها موقع تجاري كانت له صلة بالمراكز الحضارية في منطقة الخليج العربي خلال الألف السادس قبل الميلاد.

بدأت دول العالم المتحضر منذ وقت طويل التنقيب عن الآثار والبحث عن تاريخ الحضارات السابقة، لكن في الدول العربية جاءت الانطلاقة منذ سنوات قليلة للبحث عن الحضارات التي استوطنت أراضينا. في هذا المجال خطت الكويت خطوة جيدة في مجال البحث والتنقيب عن الآثار والحضارات القديمة التي سكنت أرضها في عصور قديمة تعود الى آلاف السنين، فاكتشفت آثاراً كثيرة في جزيرة فيلكا ومنطقة الصبية ومناطق أخرى تعود الى عصور ما قبل التاريخ.

يحد منطقة الصبية من الشمال الغربي مرتفعات جبال الزور ومن الجنوب جون الكويت ومن الشرق جزيرة بوبيان، وبدأت عمليات البحث والتنقيب عن الاثار منذ عام 1998 من خلال البعثة الكويتية البريطانية المشتركة، واستمرت أربعة مواسم متتالية مدة كل واحد سنة.

البعثة البريطانية

بدأت البعثة البريطانية عملها في موقع العبيد في الصبية عام 1998، واستمرت حتى عام 2003، فاكتشفت في الموقع مستوطنة أرخت التي يعود تاريخها إلى النصف الثاني من الألف السادس قبل الميلاد.

نشأت هذه المستوطنة على مرتفع رملي طبيعي واعتمد سكانها في غذائهم على الصيد البري والبحري. ووجدت البعثة فيها دلائل على الغوص بحثاً عن اللؤلؤ، ودلّت المكتشفات على وجود نشاط تجاري بحري بين سكان هذا الموقع والحضارات المجاورة.

الموقع الذي كشف عنه في منطقة الصبية نواة الاستيطان في الكويت الأولى، وعلى رغم أن الظروف البيئية تغيرت كثيراً منذ ذلك الوقت، إلا أن الدلائل الأثرية تشير إلى أن الاستقرار خلال العصر الحجري الحديث أصبح حقيقة مؤكدة وقد نشرت نتائج التنقيب في مجلات علمية عدة.

ضمن هذا الاتجاه، بدأت البعثة البولندية أعمالها في تلال المدافن في الصبية لموسم 2007، في منطقة مغيرة، وحفر الفريق موقع اتضح أنه بئر في منطقة مديرة، وتعتبر البعثة البولندية التي عملت جنباً إلى جنب مع الفريق الكويتي في تلال المدافن أن استكشاف تلال المدافن يعود إلى عام 1999 على يد فريق كويتي، كذلك عثرت البعثة في أحد هذه المدافن على كمية كبيرة من الخرز أرّخ بعضها بالعصر البرونزي بناء على زخارفه، إضافة إلى بقايا عظام بشرية.

نقوش وأحافير

تؤكد البعثات المحلية والدولية على أهمية هذه المنطقة، لأنها عثرت على نقوش وأحافير ورسومات ملونة لحيوانات قديمة تعود إلى العصر الحجري الوسيط، وبالإستناد إلى ذلك تخفي الصبية بين رمالها آثاراً ومقتنيات كثيرة شاهدة على حضارات كثيرة استوطنتها. كذلك عثرت البعثة في المنطقة على آثار تعود الى عصور ما قبل التاريخ، والعصر الإسلامي فقد أشارت دلائل البحث الى موقع تجاري كانت له صلة بالمراكز الحضارية في منطقة الخليج العربي استقر به الإنسان منذ منتصف الألف السادس قبل الميلاد.

الفريق الكويتي البريطاني

انصبت أعمال بحث الفريق الكويتي - البريطاني على موقع العبيد في الصبية حيث التل الرئيس المنسوب إلى حضارة العبيد.

قسّم الفريق الموقع إلى مناطق صغيرة وبناء على ذلك كشف عن مجموعة من أساسات الغرف السكنية تشبه خلية النحل يعتقد بأنها بنيت من الأخشاب، خصوصاً عيدان أشجار البوص أما السقف فمن جلود الحيوانات، وقد تحلل الخشب والجلود ولم يتبق سوى الأساسات الحجرية.

أثناء المسح اكتشفت الفريق مجموعة من الأدوات من حجر الصوان وفأساً حجرياً، فضلاً عن بقايا عظام السمك التي تميزت بطولها وزخارف على شكل أزرار زجاجية مصنوعة من القواقع.

كذلك عثر على إحدى الحفر المليئة بالرخويات والأصداف وفقاريات سمكة متراصة طولياً وبانتظام من سمك القرش، إضافة الى حفرة حوت ترسبات رمادية مملوءة بطبقة ثخينة من القواقع.

أما الفخار الذي احتواه الموقع فيقسم الى أربعة أقسام هي الفخار الأخضر المطلي والخزف الدقيق والفخار الأخضر الخشن والفخار المحلي، إضافة إلى أنواع من الخرز المصنوع من الأصداف البحرية والفخار والأحجار.

حرف وصناعات

توضح المؤشرات والدراسات أن الإنسان عاش في منطقة الصبية حياة كريمة، إذ كان يقتات من صيد السمك والقنص ويربي الأغنام والماعز، واشتغل بحرف كانت جديدة آنذاك مثل صناعة الخرز والفخار الأحمر الخشن. إحدى الفرق الأثرية التي عملت في الصبية البعثة الخليجية، وجاء عملها بعد توصيات الوكلاء المساعدين عن الآثار والمتاحف في دول مجلس التعاون الخليجي بشأن العمل المشترك في مجال الآثار وتبادل الخبرات الميدانية وتدريب الكوادر الخليجية، لذلك سعت الكويت إلى أن تكون السباقة من خلال دعوة منتسبي الآثار في دول المجلس للتنقيب في مواقع متفرقة في الكويت، وأبرز هذه المواقع كانت مدافن الصبية حيث عثرت البعثة الخليجية على اكتشافات مذهلة.

مكتشفات البعثة البولندية

أدوات زينة في منطقة الصبية

بئر مكتشفة في منطقة مديرة

الدرسُ السويدي

فوزي كريم
fawzi46@hotmail.com

أصبحت ستوكهولم أكثر من مألوفة لدي، لعوامل ثقافية عدة: مهرجان "مقهى بغداد"، وقد دُعيت إليه أكثر من مرة، ترجمةُ قصائدي إلى السويدية في كتاب صدر عام 2005، صداقاتٌ حميمة مع شعراء هناك، ثم المختارات الضخمة، التي صدرت في العربية، دار المدى عام 2009. ولعل هذه الألفة شملت أكثر من شاعر عربي، كما شملت أكثر من شاعر سويدي باتجاه معاكس.

وليس غريباً أن يكون وراء كلّ ظاهرة الألفة هذه شخصٌ ناشطٌ واحد. الشاعر العراقي جاسم محمد أقام في ستوكهولم طويلاً، حتى صار يكتب شعره بالسويدية، التي أحسنها كأحد أبنائها، أسس لمهرجان شعري، وترجم لعدد من شعراء العربية، أسهم، مع الشاعر السويدي ماغنوس أولسون، في تحرير المجلّد الأنطولوجي الضخم من الشعر السويدي، ثم أنجز الترجمة إلى العربية بالتعاون مع الشاعر إبراهيم عبدالملك.

كتابُ المختارات الذي تجاوز 350 صفحة من القطع الكبير، اقتصرَ على المرحلة التي تلت المرحلة الستينية، وضمَّ بين دفتيه 21 شاعراً، مع دراسة تفصيلية كتبها ماغنوس، رسم فيها خارطةً غاية في الوضوح للشعر السويدي، الذي نكاد نجهله تماماً.

النزعةُ الستينيةُ الغربية، التي ابتلعنا قشورها في حياتنا نصف الريفية، منحت للجيل الستيني السويدي "وعياً جمالياً وسياسياً جديداً. نشأ بإلهام موسيقي (كيج، ستوكهاوزن، ليغيتي، بوليز) وتشكيلي صوري (روشينبيرغ، وورهول، فلوكسُس)...". هذا الإلهام الموسيقي والتشكيلي مجهولٌ عندنا بصورة مطلقة، طبعاً. ولذا تعلّقت حماساتنا بجانب ما يسميه ماغنوس "الأدلجة"، الطافية دون جذورها خالصة الغربية.

هذه الستينيات السويدية "كانت أيضاً نقطة الانطلاق لما اصطلح على تسميته بالشعر "البسيط الجديد"، وهو اتجاه أدار ظهره لنخبوية الحداثة، باحثاً عن ذاته في اليومي الشعبي عوضاً عن ذلك. وحين تفجّر الاهتمام بالسياسة والإيديولوجيا على هيئة حركة قوامها الطلاب والمراهقون، أخذت حركة "البساطة الجديدة" منْحى آخر تمثّل بالقصيدة التحريضية التي كانت متصلّبة إيديولوجياً في أغلب الأحيان. وهذه الأنطولوجيا التي نقدمها تبدأ بالمرحلة التي شهد الشعر السويدي فيها إحكامَ قبضةِ هذه النزعة الأدبية عليه".

الموروث الشعري السويدي المعزول، والذي لا يضاهي ضخامةَ الموروث الإنكليزي على سبيل المثال، جعل الشعر الستيني تحت ضغط الموجة الأميركية، كقارب في محيط عاصف، ولذا بدت لي الاستجابة، بصورة من الصور، مقاربةً لاستجابتنا، يقول ماغنوس "أن جيلاً تشكّل متأثراً بالثقافات الشبابية والموضات العالمية المتزايدة والمُثُل التي انتشرت في العالم والنابعة من الولايات المتحدة الأميركية وإنكلترا في المقام الأول...".

هذه الاستجابة واضحة في قصائد الإنطولوجيا المترجمة. فهي موزعة على قصيدة اللغة، وقصيدة الصورة، والقصيدة المؤدلجة، والقصيدة الخليط، حيث لا قرابة بين الأصوات الشعرية. وأمر صلاحية هذه الخصائص لتوفير قصيدة جيدة مازال، وسيظل، موضع خلاف.

في مهرجان "مقهى بغداد" الأخير سرّني لقاء أصدقاء قدامى، انقطعت بيني وبينهم السبل، مثل الشاعر السوري علي كنعان، كما سرّني التعرف على صوت فرنسي، لبناني الأصل، لا عهد لي به. الشاعرة فينوس خوري قرأت قصيدةً طويلة بطلاقة تليق بممثلة فرنسية على خشبة مسرح كلاسيكي، في هيئة تُشبه بطلة أسطورية من رخام أبيض. الاسم لم يكن غريباً عليّ تماماً، فقد قرأت، قبل سفري إلى ستوكهولم، خبر صدور مجموعة شعرية لها عن دار Carcanet تحت عنوان Alphabets of Sand. وكنت قد طلبت المجموعة رغبةً في التعرف على صوتٍ من أصل عربي، وعرضها للقارئ في عمودي الأسبوعي هذا.

القراءات السويدية، بفعل العلاقة الحميمة مع قرائها الشعراء، أيقظت أُذني على عذوبة، وغنائية لغتها الشعرية. كان Tom المسرحي (ابن الشاعر ماغنوس) يقرأ قصيدتي الطويلة نسبياً، وكأنه ينفرد، في القاعة الكبيرة، بكل مُصغٍ على حدة. يهمس في كلّ أذنٍ طبقةَ صوت تلائمها، ولم تكن الدرسَ الأوّل.

آخر القراء كان مفاجأة للجميع. شاعرٌ بالغ الإعاقة بفعل شلل تام، قُرئت عنه قصائده، دون أن نعرف كيف كتبها، وبأي السبل التقنية، كان ينظر إلى المستمعين برأس لا يستقر على رقبة، وبعين لا تستقر بمحجر، أطل غامضاً، وربما بدونا له أكثر غموضاً، من يعرف؟

أماكن

وجوه البشر ترسم ملامح المكان

«حيّ الحسين»... أسواق ومقاهٍ وتأمّلات دينيّة

القاهرة - محمد مندور

روحانيات صوفية وابتهالات دينية ومزيج من جنسيات مختلفة تسعد وتتأمل ملامح تراث مدينة القاهرة الديني والثقافي المتمثل في «حي الحسين» الشهير. سعادة كبيرة وانطباع مختلف عن التنوع الثقافي والسياحي يغمران زائر ميدان الحسين الذي يضم مقاهٍ وأسواقاً تاريخية ومسجد الإمام الحسين وخان الخليلي.

يكتظ مسجد الحسين بمجموعات مختلفة من الطرق الصوفية والزائرين من محافظات مصر والدول الإسلامية، كل يمارس طقوس الزيارة بطريقته، ما بين أدعية وابتهالات أو هدايا يوزّعها على الحاضرين تقرباً وحباً وإكراماً لصاحب المقام.

تستقبل الزائر على واجهة المسجد لوحة رخامية كبيرة، تعكس مدى الحب الذي يختلج زائري المقام، كُتب عليها الحديث النبوي الشريف: «الحسن والحسين مني ... من أحبهما أحببته، ومن أبغضهما أبغضته».

يضمّ المسجد ضريح الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب وأمه السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. أنشىء المشهد الحسيني في القاهرة في العصر الفاطمي عام 549 هـ لينتقل إليه رأس الحسين بن علي بن أبي طالب، ولم يبق من أجزائه الأثرية الآن غير الباب المعروف بالباب الأخضر نسبة الى لونه. وبُنيت المئذنة المقامة فوق الباب عام 634 هـ في أواخر العصر الأيوبي ولم يبق منها أيضاً سوى قاعدتها المربّعة. وقد جدّد الأمير عبد الرحمن كتخدا الجزء العلوي من المئذنة والمشهد والقبة المقامة على الضريح عام 1175 هـ . وفي عصرالخديو إسماعيل جدِّد ووُسِّع المسجد عام 1290 هـ.

في سنة 1939م أمر الملك فاروق بإصلاح أرضية القبة وفرشها بالرخام فانتهزت إدارة حفظ الآثار العربية هذه الفرصة للتحقُّق من وجود التابوت الخشبي المدفون فيه رأس الإمام الحسين، ولما وجدته وعاينته، رفعته من مكانه ورمَّمته وما زال الرأس الشريف مدفوناً في الضريح.

يشتمل المسجد على خمسة صفوف من العقود المحمولة على أعمدة رخامية، ومحرابه من الخردة الدقيقة التي اتُّخذت قطعها الصغيرة من القاشاني الملوّن بدلاً من الرخام وهو مصنوع عام 1303 هـ، وبجانبه منبر من الخشب يجاوره بابان يؤديان إلى القبة وثالث يؤدي إلى حجرة الآثار النبوية التي بنيت عام 1311 هـ حيث أودعت فيها عصا النبي وعدد من شعرات رأسه بالإضافة إلى أجزاء من بردته الشهيرة ومصاحف أثرية.

تقام في مسجد الحسين يومياً عشرات عقود القران، إذ يحرص آلاف المصريين على عقد قرانهم داخل المسجد الحسيني تبركاً به. كذلك، تقام يومي الخميس والجمعة من كل أسبوع حلقات الذكر الصوفي، وفيها تُتلى أناشيد مديح النبي صلى الله عليه وسلم وآل بيته وتُقرأ قصيدة البردة الشهيرة للإمام البوصيري في مدح صفات النبي.

خان الخليلي

حي الحسين سوق سياحي كبير، ويضمّ محلات التحف والأنتيكات والمشغولات الجلدية والنحاسية والآلات الموسيقية ومحلات العطور والتوابل والمصوغات الذهبية. وفي ممرات ساحة المسجد الجانبية تقع محلات خان الخليلي، أشهر أسواق الشرق، يقول المقريزي، المؤرخ الذي عاش في عصر المماليك، إن خان الخليلي واحد من ثمانية وثلاثين سوقاً كانت موزعة أيام المماليك في أحياء العاصمة، ويقع وسط القاهرة القديمة التي بناها الفاطميون. وكان الخان قديماً عبارة عن مبنى مربع كبير يتوسطه فناء ويشبه الوكالات التجارية، يضم الطابق السفلي منه الدكاكين ومخازن البضائع، وتقتصر الأدوار العليا على حجرات استقبال التجار ومساكنهم. وفي نهاية عصر المماليك أمر السلطان الغوري في ربيع الثاني عام 917 هـ بهدم خان الخليلي وتوسيعه، ثم أنشأ مكانه عدداً أكبر من الدكاكين والوكالات تغلق عليها ثلاث بوابات. وقد هدمت هذه الحواصل والحوانيت وأعيد بناء الخان بعد ذلك على الطراز الراهن.

تتعدد الأسواق المحيطة بخان الخليلي، فثمة سوق العطارين وتباع فيه التوابل والبخورالمستورد من الهند والسودان والسعودية، ومن أهم أنواعه «المستكة » التي يعتقد الناس بأنها تمنع العين والحسد، وبخور «الكسبرة» التي يُطلق عليها اسم «الفك والفكوك» أي أنّ من يشمّها تذهب عنه العقد بلا رجعة.

كذلك، تباع في سوق النحاسين الإكسسوارات التاريخية كالأطباق والأواني والسيوف والخوذات النحاسية والأحزمة. ويعتبرسوق الصاغة في حي الحسين أكبر مجمّع اقتصادي لصناعة وبيع المشغولات الذهبية في مصر.

سياحة

يحظى حي الحسين بعدد كبير من المطاعم والمقاهي السياحية والبلدية التي تقدم المشروبات الساخنة ومنها: القهوة والشاي الأخضر والأحمر والينسون والحلبة والكركدية وغيرها. ويستمتع رواد المقاهي بفقرات موسيقية وغنائية متنوعة من الموسيقى المصرية الشعبية والكلاسيكية والتراثية. وتتميز مقاهي حي الحسين بمقاعدها الخشبية المتراصة أمامها وأسقفها العتيقة ونوافذها المزينة بزخارف الأرابيسك، ومنها مقهى «الشيخ شعبان» الذي تأسس عام 1919م، بالإضافة إلى مقاه حديثة مثل «مقهى الحسين» و«مقهى آل البيت» و«مقهى باريس الشرق» وغيرها.

يُعدّ «مقهى الفيشاوي» أشهر مقاهي حي الحسين التاريخية، ويرجع تاريخ إنشائه إلى القرن الثامن عشر الميلادي حيث كان يملكه فهمي الفيشاوى، أحد فتوات الجمالية، إذ كان المقهى المقرّ الذى يدير منه شؤون المنطقة. وخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى قبيل ثورة يوليو 1952م، كان المقهى مقصداً لطلاب العلم، وللحركات الطلابية السرية بهدف الإعداد للمظاهرات ضد جيش الاحتلال الإنكليزي، وذلك تحت ستار تناول الشاي الأخضر مع النعناع الذي تميز المقهى بتقديمه.

ويحظى المقهى بشهرة عالمية، إذ زاره عدد من الشخصيات المهمة ورؤساء الدول ومنهم: «أوجيني»، أمبراطورة فرنسا التي زارت الخديو إسماعيل للمشاركة في احتفال افتتاح قناة السويس، ونابليون بونابرت قائد الحملة الفرنسية عام 1798م.

كذلك كان المقهى مركزاً لالتقاء نخبة المجتمع من الفنانين والمثقفين والأدباء من أمثال جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وعبدالله النديم وسعد زغلول وأم كلثوم، ومن الرؤساء جمال عبد الناصر وأنور السادات.

سوق شعبي حول الحسين

ميدان الحسين